التاريخ بين عهدين

كلة قيمة لفضيلة الشيخ محمد امين زين الدين جمعت الى طرافة الاسلوب دقة البحث التاريخي العلمي، وقد تليت في مهرجان (المبعث النبوي) الذي عقده الشباب النجفي فحازت الاكبار والاعجاب

البيان

يقف العام في منتصف دورته ليختم عهداً ويبدء عهدا ويقف التاريخ بين دورين متناقضين . ماض يقطر بالدم ومستقبل ينطف بالنور ؛ وتنبعث ومضة الحق من جبل حراء فتحيا آمال وتموت آمال ، وتعج النوادي في مكة ايذاناً بصوت النذير « قولوا لااله الا الله تفلحوا » وفتى هاشم ابن عبد مناف يحمل راية الاسلام خافقة العذبات ، تمتد اليها ابصار ، وتخفق معها قلوب وتحوم حولها نفوس ؛ وعلى الراية قدسية الحق وجلال السماء

ولم تكن الراية الا كتابا ، وماسارتها الاعقيدة وايمان

ايها السادة

يودع محمد دور الشباب الوديع ليستقبل وقار الاربعين، ولكنه في هذا الدور يحاول ان يضم الارض الى السماء ؛ وان يربط الشرق بالغرب برابطة من العقيدة وصلة من الايمان ، يحاول ان يكسب العالم يقيناً من يقينه ، وعقيدة من عقيدته .

سمو في الدعوة ، وترفق في الابلاغ ، ونصوع في الحجة ثم ترفع في الاخلاق ، وصفح عن الاجرام ؛ وما اكثر المؤهلات في محمد .

يقول المتورعون من اعداء محمد انه شاعر ؛ ويقول المتطرفون منهم انه ساحر ؛ وماضر محمداً ان يكون شاعراً اذا كانت المعجزة شعراً ، وماضره ان يكون ساحراً اذا كان البيان سحرا .

يودع محمد سن الشباب اميناً في الارض ليعلم الناس انه امين في الارض والسماء .

ايها السادة

يبتدئ المسيح دعوته وهو لايزال في المهد ؛ ولايصدع محمد بالنبوة الا بعد الاربعين .

لم تكن كرامة المسيح اعظم ، ولكن مهمة محمد اكبر ورسالته اجل .

ولم تكن الاربعون في محمد استكمالا لمؤهلات الرسالة ولكنه الليث يتحفز للوثبة ، والنور يتجمع للاشراق والبركان يتأهب للانفجار .

لقد ابتلت دعوة محمد بما لم تبتل به دعوة عيسى ، فان مكة غير البيت المقدس ، وان قريشاً غير بني اسرائيل . وبعد هذا وذاك فان دعوة السيف لايؤديها عهد الطفولة الناعمة والشبيبة الغضة .

تبدأ دعوة محمد عربية خاصة ؛ لتصبح عالمية عامة .

العرب امة متوسطة بين الحضارة المتمدنة ؛ والهمجية الرعناء ؛ لها من بعض اخلاقها مايقربها الى الاولى ومن بعض اعمالها مايلحقها بالثانيه ، فهي اولى بان تبلغ الفريقين رسالتها كاملة غير منقوصة .

لو نهضت الدعوة في الحضارة المحضة لم تبلغ الامم المتوحشة من اقاصي افريقيا ؛ ولو نشأت بين هؤلاء لدمت المساعد والنصير فقيامها عند العرب احرى بالحكمة ؛ واجدر ببلوغ الهدف والعرب الى ذلك عنصر كريم يمتاز بالنخوة ، ويمتاز بالشجاعة ، وللدعوة من هاتين الخصلتين كافل بالظهور ؛ ومؤهل للانتشار .

فمن الجدير ان تكون الدعوة عربية في بدايتها ؛ ومن الجدير ان تصدر في مكة مطاف العرب ومهوى قلوبها ، ومحل ولائها وايمانها .

ولابد ان يكون القائم بها عربياً هاشمياً لان العرب لاتخضع الا لاعلاها مجداً واسماها سؤدداً ومن احق بالمجد والسؤدد من هاشم ؟!

ولكن لهاشم حساداً من قريش ، تضارعها في النسب ان لم تضارعها في الكفاءة ، وليس من العرب من يتأخر عن قبول الدعوة اذا خضعت لها قريش .

ومعنى ذلك ان قريشاً هي الحجر الذي تصطدم به الدعوة والسيف الذي يسل في وجه الحق ؛ واذن فمن الحزم ان يبدأ

النذير بقريش ، ومن الحكمة ان يقول الوحي (وانذر عشيرتك الاقربين) .

والتاريخ يحدثنا ان المصاعب التي لقيتها النبوة في سيرها وليدة من كبرياء هذه الفئة فيضطهد الرسول والمسلمون من اتباعه في مكة ، وتشن عليهم الغارات في المدينة ثم لاتنتهي هذه المصاعب الا حيث يضع المدل حداً لهذا الطغيان ويذل كبرياء الباطل لعزة الحق .

ايها السادة

لعلي اضايقكم في التحدث عن اسطورة تشبه اساطير اليونان الاقدمين ، ولكن المؤرخين يذكرونها تاريخاً لابتداء الوحي

يقول المؤرخون : يعتزل محمد للعبادة في جبل حراء ، ويأتيه الملك في هذه العزلة فيقول له اقرأ فيقول محمد ماانا بقاريء فيغته حتى يبلغ منه الجهد ، ثم يقول له مرة ثانية اقرأ ويعود الجواب ، ويعود الفعل ، ولايستسلم محمد للقراءة الا بعد الثالثة .

ويعود مزوداً بثلاث ايات بعد ان يرى الموت ثلاث مرات هكذا يقول التاريخ ايها السادة وللفكر دون هذا الحديث الف وقفة ووقفة .

الم تكن الملك وسيلة يبلغ بها محمداً امر ربه غير الاخذ بالخناق ؟

انها وسيلة بشعة لاتدل على كرامة ان لم تكن دالة على غيرها .

ثم الم يكن لمحمد مندوحة عن هذا العناد المريب يقول له الملك اقرأ فيقول ماانا بقاريء ثم لايقبل الا بعد ان يرى الموت ثلاث مرات ؛ لقد الجأه الموت الى القبول ، ولعله لولا ذلك لايقبل النبوة ابداً .

لقد عهدنا محمداً وديعاً مع اعدائه وهو في دور الشباب فما هذه المنافرة مع امر ربه بعد الاربعين .

ويعود محمد الى منزله وهو مضطرب الاعضاء خائر القوى ولابد لمن يرى الموت ان يضطرب وان تخور قواه ـ يعود فيحدث زوجته الامينة بمارآى وبما سمع فتثبته على الامر وتصبره على الحادث وتصدق نبوته قبل ان يصدق هو بها ثم تستعين بقريبها ورقة بن نوفل .

يجزع محمد فتثبته خديجة ، ويجهل الوحي فيعرفه ورقة ابن نوفل .

لاانكركم ايها السادة انها هناة في التاريخ قد تكون من وحي العقيدة ؛ وقد تكون من شيء آخر ؛ هناة لاتلتئم وقدسية الرسول الاعظم .

لم تكن خديجة اتم ايماناً بالوحي من محمد ، ولم يكن ورقة ابن نوفل اكمل معرفة بالرسالة منه .

الرسالة ايها السادة اعظم خطراً من ان يجهلها محمد ، ومحمد ابعد يقيناً من ان يرتاب بالوحي .

الرسالة عقيدة قبل ان تكون عملاً ، وايمان قبل ان تكون سلوكاً ، والرسالة عصمة قبل العمل وبعده ولو روى هذه المهزلة رجل من مستشرقة الغرب ؛ او احد من رجال الكنيسة لقلنا انها اسطورة يكيد بها الاسلام ولكن . . .

ولكن يرويها البخاري المسلم ، ويدونها الطبري المؤمن ويذكرها بعدهما مؤرخون من اتباع محمد .

ثم لاتنال حظها من النقد ، ولايسمو اليها التحليل حتى في العصر الاخير الذي تدعى له الحرية في الرأي ، فيحدث بها هيكل الباحث ، ويتمدها طه حسين الناقد ثم يمران عليها بسلام ؛ وكم في التاريخ من هناة لعبت بها العقيدة ادواراً وفصولا

وبعد فان التاريخ امانة العصور بيد المؤرخ والحق فوق الامانة والامين .

النجف — محمد امين زين الدين

ايها المشارك الكريم

تذكر ان البيان تناضل في هذا الظرف العصيب ؛ وهي قد قطعت شوطاً بعيداً في مضمار الخدمة الاجتماعية ، وهي الآن قد اشرفت على سنتها الثانية رافعة رأسها مخورة بجهادها الادبي القويم الذي حازت به اعجاب الناس واكبارهم وهي تدعوك ايها المؤازر الكريم الى انتشالها من هذا (الخناق) الاقتصادي بتسديد بدل مشاركتك فقط .